

## ◆ القرآن الكريم ◆

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إماماً المتقين وسيد المرسلين وحبیب رب العالمین ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ أن يذكر الناس بالقرآن فقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ ﴾ [ ق : ٤٥ ] . وأمره أن يندبرهم به فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [ الانعام : ١٩ ] . وأن يخرج الناس به من الظلمات إلى النور ﴿ أَلَمْ نَكْتُبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١ ﴾ [ إبراهيم : ١ ] ، وأخبر سبحانه وتعالى أنه لو أنزل هذا القرآن على الجبال الصم لتصدعت كما قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [ الحشر : ٢١ ] . وأخبر أيضاً أنه ميسر للحفظ والفهم : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٧ ﴾ [ القمر : ١٧ ] .

وأخبر ﷺ أن الفرق بين البيت الذي يقرأ فيه القرآن والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كالفرق بين الحي والميت حيث قال : « مثل البيت الذي لا يذكر الله فيه والبيت الذي يذكر الله فيه مثل الحي والميت » .

إذن فالقرآن الكريم هو خير كتاب أنزل على أشرف رسول أرسل إلى العالمين أجمعين ، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٢٩ ﴾ [ ص : ٢٩ ] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿ [ النحل : ٨٩ ] ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [ المائدة : ١٥ ، ١٦ ] ،  
 وسماه الذكر لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴿ [ الزخرف : ٤٤ ] . وقد توعد الله المعرضين عنه بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ ﴿ [ طه : ١٢٤ ، ١٢٦ ] .

وقال ﷺ : « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » . وقوله أيضاً في حديث آخر : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان » .

### نزول القرآن :

وقد أنزل هذا القرآن العظيم في أعظم ليلة على الإطلاق في ليلة القدر كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴿ [ القدر : ١ - ٣ ] .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

حَكِيمٍ ﴿٤﴾ [ الدخان ٣ ، ٤ ] . قال ابن عباس رضي الله عنهما أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ . بينما هو عليه الصلاة والسلام يتحنث

في غار حراء أي يتعبد الله فيه إذا جاءه جبريل عليه السلام في ليلة من الليالي وقال له : «إقراء ، قال : ما أنا بقارئ ، فأعادها عليه ثلاثاً وهو في كل مره يقول له : ما أنا بقارئ ، فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق : ٥-١] ، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهله خائفاً يرتجف فؤاده وترتعد فرائصه وهو يقول : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب الروع عنه . فأخذته زوجته خديجة رضي الله عنها إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل الذي كان عنده علم من الكتاب وقصت عليه الخبر ، فقال ورقة بن نوفل : والذي نفسي بيده لئن صدقت يا خديجة ، فهذا الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام ، يا ليتني جذعاً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ ، قال : نعم لم يأتي رجل قط بما جئت به إلا عادوه وآذوه . فعلاً تحققت نبؤة ورقة بن نوفل ، فقد آذوه وعذبوه وأخرجوه من مكة ودموعه على وجنتيه صلى الله عليه وسلم وهو يقول : «والله إنك لأحب البقاع إلى الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت .»

وقد كان صلى الله عليه وسلم عندما يتلقى نزول القرآن يتصبب عرقاً في أيام البرد الشديد ، كما ورد ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتصفد عرقاً حتى أنه كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت الناقة من ثقل جسمه عليها ، وهذا مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّا سَلَفْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) ﴾ [المزمل : ٥] .

### أجر تلاوته وحفظه :

إن عظمة المسلم تكمن في مصاحبته للقرآن الكريم ، فالمسلم الذي يعيش مع القرآن فإنه من أهل الله وخاصته ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله عز وجل أهلين من الناس ، قيل من هم يا رسول الله ، قال : هم أهل

القرآن ، أهل الله وخاصته » .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل القرآن أهل الله وخاصته » ، لذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً للمؤمن الذي يقرأ القرآن حيث قال : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التيمرة لا ربح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظل ليس لها ربح وطعمها مر » .

ولهذا فإن الله عز وجل قد رتب الجزاء لمن يقرأ القرآن حيث قال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » ، وقارئ القرآن يوم القيامة يتبوأ منزلة رفيعة كما بينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » .

وكذلك فإن قارئ القرآن يلبس يوم القيامة تاج العزة والكرامة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « يجئ القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حله أي جملة وزينه ، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يا رب إرضى عنه فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارتنق فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها » ، ذلك كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : احفظوا القرآن فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن ، ولا يحفظه إلا موفق .

وقد كان أبي بن كعب رضي الله عنه أعلم الصحابة بالقرآن حتى قال عمر رضي الله عنه : أقرؤنا أبي ، وكان معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام ، وزيد بن ثابت أعلم بالفرائض ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشهور بالقضاء ، وحسان بن ثابت رضي الله عنه مشهور بالشعر والأدب .

وقد ثبت أن الرسول ﷺ سأل أبي بن كعب رضى الله عنه فقال له : « أي آية أعظم في كتاب الله ، قال : الله ورسوله أعلم ، فقال : أي آية أعظم في كتاب الله ، قال : الله ورسوله أعلم ، فقال : أي آية أعظم في كتاب الله ، قال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فضرب ﷺ على صدره وقال : ليهنك العلم أبا المنذر . فإذا افتخر الناس بالشهادات العالية ، وإذا افتخروا بالنياشين والرسامات ، فيكفي الإنسان أن يفتخر بكتاب الله عز وجل ، لأنه يكون بذلك من أهل الله وخاصته ، وقد ثبت أن الرسول ﷺ لما أنزل عليه سورة البينة ذهب إلى أبي رضى الله عنه وقال له : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة ، قال أبي : وسماني في الملاء الأعلى ، قال : نعم سمّاك في الملاء الأعلى ، فبكى أبي رضى الله عنه ، ثم قرأ عليه ﷺ سورة البينة . »

ولهذا يجب أن يحسن الإنسان صوته عند قراءة القرآن لقول الرسول ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن - وقوله أيضاً - زينوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً » ، وقد صح أن أبا موسى الأشعري رضى الله عنه ، كان يقرأ في ليلة من الليالي ، فمر الرسول ﷺ فاستمع لقراءته ، وفي الصباح لقيه وقال : « يا أبا موسى ، لو رأيتني البارحة وأن استمع لقراءتك ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داوود » ، فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك تستمع لي لحبّرت لك تحبيراً ، أي لحسنته وجملته لك .

### حياة الرسول ﷺ مع القرآن :

لقد عاش حياته ﷺ مع القرآن ، فكان لا يجلس مجلساً إلا مع آيات الله ، وكانت خطبه ومواعظه من القرآن الكريم ، لذلك سملت عائشة رضى الله عنها ، عن خلقه ، فقالت : « كان خلقه القرآن » . فكان إذا قرأ القرآن يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من شدة البكاء ، فذات مرة يقول لابن مسعود رضى الله عنه : « إقرأ عليّ القرآن ،

فقال: يا رسول الله كيف أقرؤه عليك وعلى أنزل، فقال: إني أحب أن اسمعه من غيري، فبدأ يقرأ من أول سورة النساء حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) [النساء: ٤١] قال: حسبك الآن»، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نظرت إليه فإذا عيناه تذرفان.

يمر عليه الصلاة والسلام جوار بيت، فيسمع عجزاً تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ وتردها ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ توقف عليه وهو يبكي ويقول: «نعم أتان، نعم أتان». ويروي أيضاً أنه قام ليلة من الليالي يصلي ويقرأ القرآن، فجعل يبكي حتى بلّ خيته عليه، فجاءه بلال رضي الله عنه يستأذنه للصلاة، فلما رآه يبكي قال يا رسول الله: تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «يا بلال لقد أنزلت عليّ الليلة آيات، ويل لمن قرأها ولم يتدبرها ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩٦) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران ١٩١، ١٩٢].

ولذلك فقد أمر عليه أن يقوم الليل بالقرآن، كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ [المزمل: ١-٦].

### حال المسلمين اليوم مع القرآن:

أما إذا سألتهم عن حال المسلمين اليوم مع القرآن، فأقروا قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠) [الفرقان: ٣٠]، وقوله أيضاً: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ

يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ [مریم: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ،  
أضاعوا القرآن فأضاعهم الله . إن الرسول ﷺ : « يقول تركت فيكم شيئين إن  
تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسنتي . »

ولهذا فإن المسلمين عندما ابتعدوا عن هذا الكتاب العظيم ، وتركوه وراءهم  
ظهريا ، عاشوا حياة الذل والهوان ، وعاشوا حياة الغربة ، التي أشار إليها النبي  
ﷺ بقوله : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطربى للغرباء » ،  
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سيأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا  
اسمه ومن القرآن إلا رسمه .

وهذه هي الحالة التي يعيشها المسلمون اليوم مع القرآن ومن تلك الأحوال ،  
[ ١ ] فقد أصبح بعض المسلمين اليوم لا يعرفون القرآن إلا من خلال افتتاح  
الحفلات أو قراءته على الأموات ، فالقرآن لم ينزل للتباهي به ، أو لجمع الأموال ،  
أو للتكسب والأكل به ، فقد روى الإمام أحمد أن الرسول ﷺ قال : « اقرءوا  
القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تستكثروا به » .

[ ٢ ] وبعضهم أصبح لا يقرأ القرآن إلا قليلاً ، فتجد بعض المسلمين يقرأ  
الصحف والمجلات يومياً ولا يقرأ من كتاب الله عز وجل آية واحدة ، وبعضهم  
يقف أمام الشاشة الفضية سبع ساعات ، لكنه لا يستطيع أن يقرأ صفحة واحدة ،  
يقف عند آياتها ، يتدبرها ويعلم مستقرها ومستودعها ، وبعضهم يسمع الأغاني  
ليل نهار ، ينتقل من شريط إلى شريط ، لكنه لا يستطيع أن يسمع شريطاً واحداً  
من كتاب الله ، إن هؤلاء قد انسلخوا من القرآن وضلهم الشيطان ، قال تعالى :  
﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (١٧٥) ﴿  
[ الاعراف : ١٧٥ ] .

[ ٣ ] وبعضهم يقرأ القرآن ويحفظه لكنه لا يعمل به ، ولا يقف عند حلاله  
وحرامه ، ولا يتحاكم إليه ، وقد ذكر النبي ﷺ : « إن أول من تُسعر بهم النار

يوم القيامة ثلاثة : الأول رجل آتاه الله القرآن فيقول الله له ، بعد أن يعرفه نعمته عليه ، ماذا عملت بهذا القرآن ؟ فيقول أي رب ، قرأت فيك القرآن وعلمته الناس ، فيقول الله له : كذبت ، إنما قرأت ليقال فلان قارئ فقد قيل ، ثم يؤخذ فيطرح في النار ، أما الرجل الثاني : فهو الشهيد الذي قُتل في أرض المعركة ، فيقول الله له : ماذا عملت ، هل قاتلت وجاهدت ؟ فيقول أي رب ، قاتلت فيك حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، إنما قاتلت ليقال فلان شجاع ، فقد قيل ، ثم يؤخذ فيطرح في النار . . . . » إلى آخر الحديث لهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «والقرآن حُجة لك أو عليك» .

[ ٤ ] وبعضهم يقرأ القرآن ولكن بسرعة عجيبة ، تزيل عنه صفة التدبر والتفكير ، لهذا يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لا تهذوا القرآن هذ الشعر ، ولا تنثروه نثر الدقل ، وقفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . وثبت أن عبد الله بن العباس رضي الله عنه قال : لعن أقرأ سورة أرتلها ، أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله .

وذكر الزهري أن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم كانت آية آية ، لذلك يجب أن يتدبر الإنسان الآيات ويتفكر فيها ويتفاعل معها ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ ص : ٢٩ ] ، وقوله أيضاً : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [ النساء : ٨٢ ] .

فالإنسان الذي لا يتفاعل مع القرآن ، فإن قلبه مريض مُغلق عن الفهم والتدبر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [ محمد : ٢٤ ] . إذن ، فمن أراد أن يعيش حياة الأمن والأمان ، ويجد طعم الإيمان ، فليقرأ القرآن ، بتدبر وتمعن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [ الأنفال : ٢ ] .

وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٢)﴾ [الزمر: ٢٢] ، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتلون كتاب الله ويتأثرون ويؤثرون به، فتلين جلودهم وتخضع قلوبهم وتدمع عيونهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)﴾ [مريم: ٥٨] ، وقوله أيضاً: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشوعًا (١٠٩)﴾ . [الإسراء: ١٠٩] .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاعلون مع الآيات ، ولهذا روى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قرأ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ [المطففين: ٦] . فبكى حتى انقطع صوته، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠)﴾ [النجم: ٥٩-٦٠] بكى أهل الصفة ، حتى جرت دموعهم على خدودهم ، فلما سمع رسول الله ﷺ حس بكاءهم قال: «لا يلج النار من بكى من خشية الله» ، وقوله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله» وروي أيضاً: أن سفيان الثوري - رحمه الله - صلى المغرب يوماً فقرأ حتى إذا بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ بكى حتى انقطعت قراءته . كذلك محمد بن المنكدر: بكى بكاءً شديداً حتى أشفق عليه أهله ، فذهبوا إلى صاحبه أبا حازم وقالوا له: إن صاحبك قد أهلك نفسه بالبكاء ، فأتي إليه وسأله ما الذي يبكيه ، فجاء إليه وقال: يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟ لقد أتعبت نفسك وأتعبت أهلك من بعدك ، فقال: يا أبا حازم يبكييني قول الله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] .

ونتيجة لبلاغة القرآن وقوة تأثيره ، حتى النصارى وهم في نصرانيتهم كانوا يتأثرون بهذا القرآن . كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ

تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴿ [المائدة : ٨٣] .

### فوائد القرآن :

إن هذا القرآن يناديكم ويدعوكم إلى إقامة الصلاة عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، وكذلك يدعوكم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ويحذركم من الكذب والحقد والحسد والنميمة ، ويأمركم بالعدل والصدق والامانة ، ويدعوكم إلى بر الوالدين والإحسان إليهما كما في قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [٢٣] وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء ٢٣ ، ٢٤] .

فلو بحثنا في الكتب القديمة والحديثة فلن نجد أمثال هذه الوصايا العظيمة التي بها سعادة الشعوب والأمم ، فإذا أردتم حياة العزة والكرامة ، فما عليكم إلا بالقرآن ، يؤكد ذلك قول النبي ﷺ : «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين» . وإذا أرتم حياة السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والندامة ، فما عليكم إلا بالقرآن ، فهو حرز من الشيطان ، ورجحان في الميزان ، ما تمسك به عبدٌ إلا عصمه الله ، وما أعرض عنه جبارٌ إلا قصمه الله ، فمن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى ﴾ [طه : ١٢٤-١٢٦] .

إعجاز القرآن :

إن هذا القرآن العظيم الذي يفسر بعضه بعضاً ، ويشبه بعضه بعضاً ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾ [الزمر : ٢٣] .

إن هذا القرآن ، ليس فيه نقص ولا عيب ، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾ [هود : ١] .

لذلك فقد شهد بعض المستشرقين المنصفين بعظمة القرآن الكريم ، فيقول المستشرق الفرنسي موريس : إن القرآن ، أعظم كتاب أخرجته العناية الأزلية لبني البشر ، وإنه كتاب لا ريب فيه ، ويقول مستشرق آخر : لعل القرآن ، هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم ، وهو بكل تأكيد ، أيسرها حفظاً ، وأشهدها أثراً في الحياة اليومية ، لمن يؤمن به ، ولذلك فقد تحدى الله سبحانه وتعالى به الجن والإنس على أن يأتوا بمثله ، كما ورد في الآية الكريمة ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ [الإسراء : ٨٨] . ثم تحداهم بعد ذلك أن يأتوا بعشر سور من مثله ، قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مِنْ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) ﴾ [هود : ١٣] . ثم في آخر الأمر تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة لكنهم عجزوا عن ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ .

لقد أصبحنا الآن ، في عصر التقدم والتكنولوجيا ، ومع ذلك يعجز أصحاب العقول المفكرة والقلوب المريضة أن يأتوا بآية واحدة ، لا نقول سورة ، بل آية واحدة ، ولكن هيهات هيهات ، أنى لهم ذلك ، إذن فالقرآن الكريم هو أعظم معجزة على الإطلاق ، فهو معجزة الدهور وآية العصور ، وقد أخبر عن أمور غيبية قبل ألف وأربعمائة عام ، ثم جاء العلم الحديث يؤكد صدق ما جاء في القرآن من غيبيات ، من هذه الآيات المعجزة ، وردت آية في كتاب الله عز وجل تحرم الجماع فترة الحيض والنفاس ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا نِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، ثم جاء الأطباء في هذا العصر الحديث ، يحذرون من ذلك ، نتيجة للأضرار الحاصلة في هذه المرحلة .

كذلك وردت آية في كتاب الله عز وجل تدل على أن مياه البحار ومياه الأنهار لا تختلط بعضها ببعض كما قال تعالى في سورة الرحمن : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠] ، ثم جاء العلم الحديث ، فاكتشف الباحثون أن مياه البحار لا تختلط بمياه الأنهار ، ودلوا على ذلك بقولهم إن مياه البحر الأبيض المتوسط لا تختلط بمياه المحيط الأطلسي عند جبل طارق ، وغير ذلك من الإعجازات والآيات التي جاءت في القرآن الكريم . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾ [فصلت: ٥٣] .

